Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ﴾.

ومع رسوخ الوثنية العربية فى مكة إبان الجاهلية، لم تستطع قط أن تطوى تمامًا ذكريات ماضيها الدينى وتلقى به فى متاهة النسيان. وكان الزمن كلما تقدم بها هزتها رجفة الوعى فخامرها ريب فى تلك الأوثان التى تكدست فى حرم بيتها العتيق، لم تنس بها خالقها، وإن أشركتها معه، سبحانه، فى التعبد.

وكانت القبائل العربية تحج إلى الكعبة فى الموسم، وتطيف كل قبيلة بوثنها ضارعة ملبية، فتذكر الله من حيث تدرى أو لا تدرى، وترفع إليه الضراعة والنجوى، إما بمنطق الشرك: يبدؤون بالتلبية لله وحده ثم يشركون به أصنامهم وإن جعلوا أمرها لله، كتلبية كنانة وقريش:

لبيك اللهم لبيكْ لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك إلا شريك هو لك
تملكه وما مَلَكْ

أو على وجه الملاذ إليه وحده، وترك أصنامهم فى منازل القبيلة، والحج إليه، ابتغاءَ رضوانه، كتلبية «همدان» فى الجاهلية:

لبيكَ ربَّ همدانْ من ساحطٍ ومن دانْ
جئناك نبغى الإحسان بكل حَرْفٍ مذعانْ
نطوى إليك الغيطانْ نأمل فضل الغفرانْ

* * *

لبيكَ معْ كل قبيلٍ لبُّوكْ همدانُ أبناءُ الملوك تدعوكْ
قد تركوا أصنامهم وانتابوك فاسمع دعاءً فى جميع الأملوكْ[1]

ومؤرخو الإسلام، يذكرون ما راج فى المنطقة قبل المبعث، من إرهاصات عن نبى آن مبعثه، ولا نجادل من يستريب من أبناء هذا الزمان فى هذه المرويات، ويحملها على منحولات الرواة وإضافات السمار، غير أن الواقع التاريخى يؤكد أنها، على أى وجه رضيناه لها وحملناه عليها، تكشف عن تطلع الحياة قبيل الإسلام، إلى تحول جديد وحاسم.

---

(١) تجد فى (رسالة الغفران) نصوصا مع هذه، من تلبيات العرب فى الجاهلية: ص ٥٣٤ وما بعدها. ط خامسة، ذخائر العرب وانظر معها (كتاب الأصنام للكلبى).